

بسم الله الرحمن الرحيم

محاضرات في الفكر العربي الإسلامي
وأبرز اتجاهاته

دكتور مصطفى جابر العلواني

قسم العلوم السياسية/كلية القانون والعلوم السياسية
بجامعة الأنبار

المحاضرة التاسع عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الاتجاه الليبرالى/الوطنيّ:

رفاعة الطهطاويّ:

جزء 1

من خلال دراسة فكر رِفَاعَةِ الطَّهْطَاوِيِّ تتبين حقيقة
منهجه وموقعه بين الأصول الإسلامية والأفكار
العُلمَانِيَّة، بغية بيان حقيقة النسق الفكري الذي ينتمي
إليه رِفَاعَةُ الطَّهْطَاوِيِّ، والمرجعية النهائية التي
ارتضاها، وصاغ وفقها مذهبهُ الفكري، وهي المرجعية
الإسلامية التي ينتمي إليها رِفَاعَةُ الطَّهْطَاوِيِّ، والتزامه
بما حدده شرطاً على نفسه في مقدمة كتاب "الرحلة"
بأن لا يستحسن إلا ما لم يخالف الشريعة الإسلامية.

فالقراءات الموضوعية المتأنية لما كتبه رفاعة
الطَّهطاويّ أو كُتِبَ عنه - لا يقبل الخطاب الشائع في
الأوساط الثقافية والإعلامية الذي يعتبر رفاعة
الطَّهطاويّ رائد التنوير، وواضع بذور العلمانية في
مصر، وداعية الوطنية، والدَّعوة إلى العامية، ورائد
تحرير المرأة وفق النموذج الغربي، فهي دعاوى تفتقر
إلى الدليل.

فثمة تعمد الخلط والتزوير لدى دعاة التنوير الغربي،
بقراءاتهم باجتزاء النصوص - وفق بعض المتخصصين -
وانتقاءها أو غرض الطرف عن النصوص التي لا توافق
توجهاتهم.

ويمكن تلخيص ملاحظات حول إسهاماته الفكرية, في الآتي:

أولاً: يخالف الطَّهْطَاوِيّ المذاهب الفلسفية الغربية كالليبرالية والحدائثة والتنوير في اعتمادها المطلق على العقل وسيلة مثلى للمعرفة، حَيْثُ يقف من العقل موقف الاتجاه الدِّيني السلفي، ويرفض اعتماده وسيلة مُثْلَى متفردة للمعرفة، فلا يقبل أن توزن الحقائق الدِّينية بعقول البشر المتباينة، بل أكد أصالة النقل، ووجوب الإيمان به وإن لم يفهم معناه، ثم يؤخذ من قضايا العقول ما وافقه، فلا عبرة عِنْدَهُ بما خالف الشرع من قضايا العقل أو التجربة. بل إنَّ الاعتماد على محض العقل الذي يُعَدُّ مقوِّمًا أساسيًا للمشروع التنويري الحداثي سبب الاختلاف ويفضي إلى الاختلال.

ثانيا: رفض الطَّهْطَاوِيِّ الفلسفة المادية التي تنطلق منها الحضارة الغربية، وركز على قيام الحضارة على جانبين مادي ومعنوي، وأهمية الجانب المعنوي المتمثل في الدين، وما يؤخذ منه من أخلاق في بناء التَّمَدُّن والحضارات، فما خالف الدين غير مقبول، ولا يعد تمدناً حقيقياً، وأنَّ تمدن البلاد الإسلامية لا بد أن ينطلق من الدين الإسلامي الحنيف.

ثالثًا: يقف رِفَاعَةُ الطَّهْطَاوِيِّ من الحَضَارَةِ الغَرِيبَةِ
موقفًا وسطًا بين الانغلاق على الذات والتبعية
للآخر، حَيْثُ دعا للاستفادة من المعطيات المادية
للحضارة الغربية، وما تتضمنه من العلوم
والمعارف، الذي يعد تراثًا إنسانيًا عامًا، مع
المحافظة على الخصوصية الثقافية للبلدان
الإسلامية المرتكزة على الدين الإسلامي، فلا يقبل
شيئًا يتعارض مع الشرع الإسلامي، الذي هو
أساس التَّمدن الحقيقي.

رابعاً: دعا رِفَاعَةَ إِلَى التمسك بالدين باعتباره
شرطاً للمحافظة على الهوية والخصوصية الثقافية،
وفي الوقت ذاته الاجتهاد في العمل وبذل الجهد في
اكتساب الثروات وتحقيق القوة المادية باعتبارها
شرطاً للمحافظة على الذات. ومن ثمَّ أكد أنَّ المادة
غير مذمومة متى استعملت فيما يرضي الله عز
وجل. وأمَّا المذموم هو طلبها للدنيا فقط.